قضية اللفظ والمعنى عند النحاة

إعداد الطالبتين:

شتواني مريم ريم

البار فريال

لعل أول ما يشير إليه الباحثون في قضية اللفظ والمعنى عند النحاة هو:

- انفصام **الصوت والدلالة** في أبحاثهم.

ويعلل الباحث "محمد العمري" موقف النحاة من ذلك حين يبين أن بحث النحاة كان في سلامة النص من الخطأ، وليس في الخصوصيات ولا في المكونات. فواجه النحاة موجة من الانتقادات والرفض خاصة من الشعراء. ويقول الباحث " عبد الحكيم راضي " موضحا هذا الموقف:

"أمّا سبب هذه المعارك فهو ما دأب النّحاة على توجيهه إلى لغة الشّعراء من ملاحظات لم يقنع هؤلاء برفضها فحسب، وإنّما تجاوزوا الرّفض إلى مهاجمة النّحاة واتّهامهم بعدم القدرة على فهم الشّعر وتبيّن أسرار لغته، وربّما أضافوا إلى هذا الاتّهام وصفَ النّحاة بالعُجمة وبتحكيم المنطق ومقاييس النّحو الفاسدة في لغة الشّعر التّي لا يمكن أن تَذِلَ لمثل هذه المقاييس".

ويستنتج الباحث:

أن هذا الصراع بين الطرفين هو قضية خصوصية التكوين الثقافي لكل منهما. فالنحوي ينظر في الجائز وغير الجائز من حيث الصواب والخطأ، أما البلاغي والناقد فلا يعنيهما هذا المعيار.

- رغم تعدد الرؤى إلا أنها كلها تتفق على أن النحاة في أثناء معالجتهم لقضية اللفظ والمعنى واجهوا إشكالين:

  - قضية انفصام الصوت والمعنى.
  - مواجهة الشعراء والنقاد لهم واتهامهم بعدم تذوق النصوص الأدبية.

أهمية الصوت في تكوين المعنى

تعتبر قضية الصوت والمعنى القضية الأساسية والمكون الرئيسي لهذه المسألة، بل وهناك من يعده الحجر الأساسي في اللغة.

قد أدرك علماء العربية ذلك جيدا، فرحلوا يؤولون آيات القرآن الكريم وفق تصور أولي هو: "التصور الصوتي"، بل واكتشفوا ظاهرة التقطيع المزدوج المعروفة في ايامنا في مباحث علم وظائف الأصوات.

إذا كانت التوجهات مختلفة من فئة إلى اخرى في أهمية اللفظ أو المعنى فإنها تتفق على أن "الصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن يكون الكلام موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف".

وهذا يعني أن الكلام يتحدد بداهة، بأنه أصوات متقطعة ومنظمة في آن واحد لأن مادة الكلام هي:

أصوات متقطعة ولكنها منظومة على وجه مخصوص في كل لغة.

وهذا التصور يأدي إلى أن الدراسة العلمية للكلام تقتضي تحليله من الجزء إلى الكل ومن الكل إلى الجزء لأن الأصوات المفردة المعزولة إذا نظمت سارت جملا وكلاما.

ولم يخرج النحاة في بحثهم عن هذا المفهوم وبما في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه.

نموذج الخليل بن أحمد الفراهيدي

نجد الخليل بن أحمد الفراهيدي من الأوائل الذين تطرقوا لقضية اللفظ والمعنى وأرسوا قاعدتها، من خلال جهوده المنصبة حول طبيعة الأصوات ومخارجها وصفاتها. وجاءنا بفكرة "تذوق الحروف" واعتبرها وسيلة لا غاية، والغاية هي الدلالة والمعنى. فمهمته كانت الانطلاق من اللفظ إلى المعنى لكنه تفطن لوحدة اللفظ والمعنى.

وعرف الخليل البلاغة بقوله: "كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة، فإن استطعت أن يكون لفظك مطابقا لمعناك طبقا ولتلك الحال وفقا وآخر كلامك لأوله مشابها وموارده لمصادره موازنا، فافعل".

فنجد أنه عرف البلاغة من باب نحوي وليس من باب بلاغي، أي في وصف الكلام البليغ لا البلاغة نفسها.

نموذج الخليل بن أحمد الفراهيدي

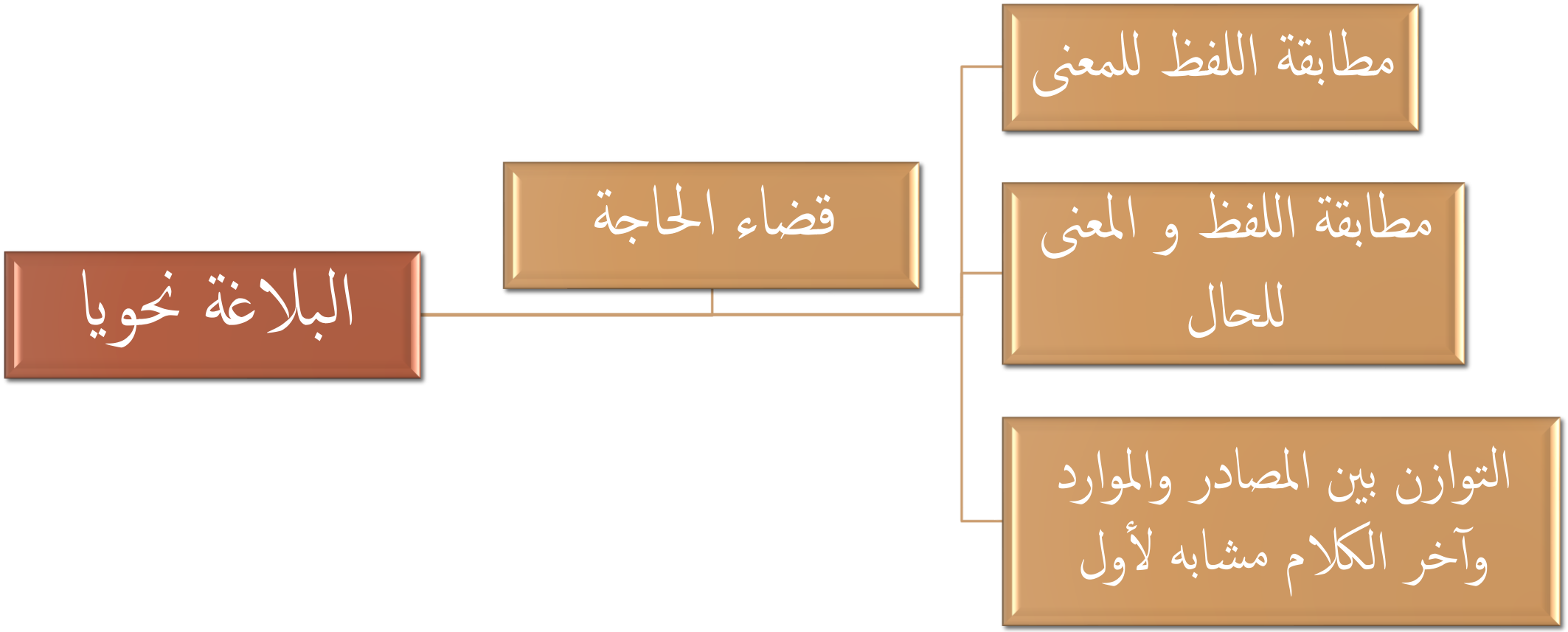

نموذج سيبويه

يذهب الباحث "حمدان حسين محمد" إلى أن أقدم صورة للتعبير عن فكرة اللفظ والمعنى كانت لدى سيبويه لأنه وضع الرمز وصيغته من جهة ومدلوله الجزئي من جهة أخرى.

وقد تمثل ذلك في عبارته الشهيرة:

"الكلم اسمٌ، وفعلٌ وحرفٌ جاء لمعنى وليس باسم ولافعلٍ"

وهذا ما يفسر تفطن سيبويه لقضية وحدة اللفظ والمعنى ويظهر ذلك في الاستقامة، ويظهر مفهوم الاستقامة عنده في "باب الاستقامة من الكلام والإحالة"، إذ يقول:

نموذج سيبويه

فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

- فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غدًا.
- وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس.
- وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر، ونحوه.
- وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدًا رأيت، وكي زيدٌ يأتيك، وأشباه هذا.
- وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس.

نموذج سيبويه

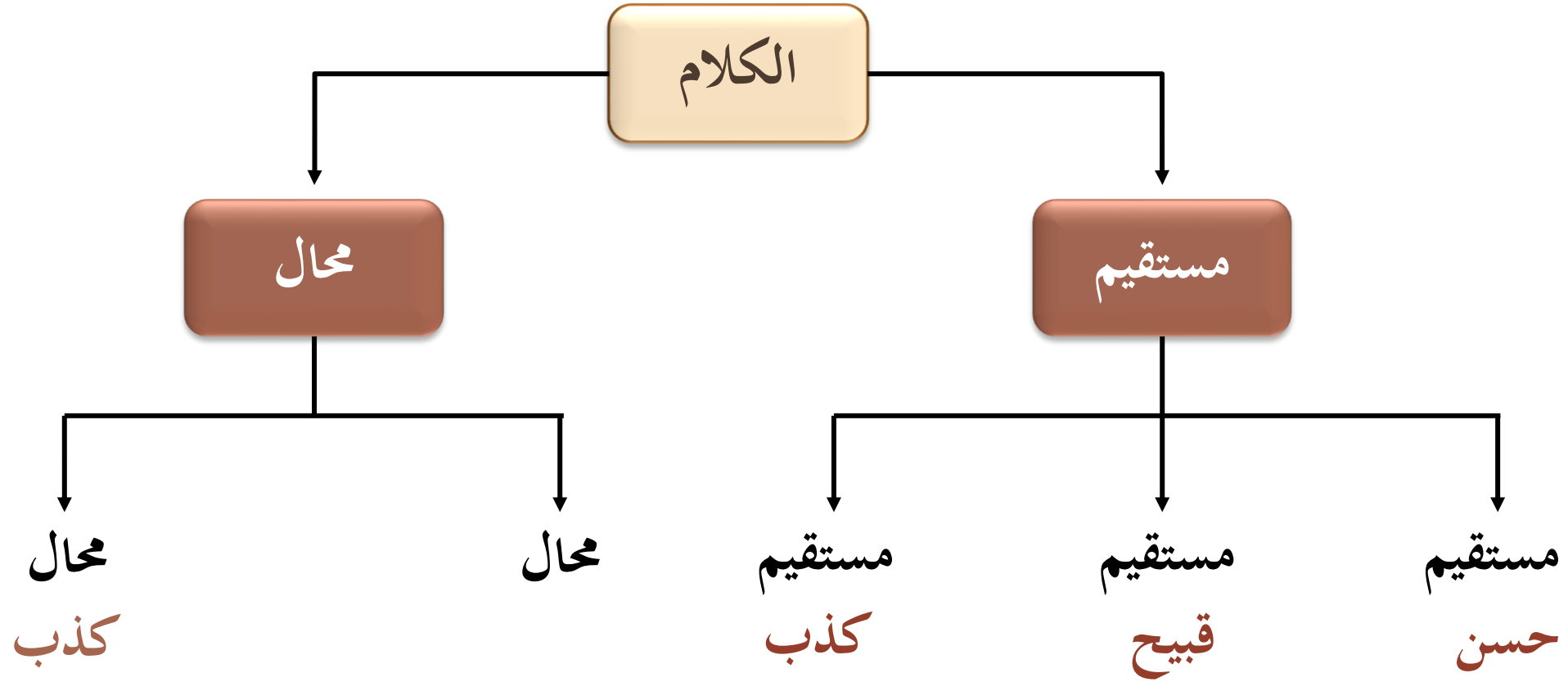

نموذج سيبويه

فالاستقامة المقصودة تلك التي لا تفصل اللفظ عن المعنى، وعلى هذا فإنّ فكرة الفصل مردودة في الفكر السيبويهي، بل نراه في غير موضع من الكتاب يدعو إلى تلك الوحدة بين الدال والمدلول. يقول على سبيل المثال:

"أعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين.

فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب.

واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق.

واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وَجَدْتُ عليه من الموجدَة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشباه هذا كثير".

ما يهمنا في هذا القول ليس تفسير اختلاف الألفاظ لاختلاف المعاني بقدر ما نحاول التأكيد على الوحدة بين اللفظ والمعنى.

مما سبق نصل إلى الاستنتاج الآتي:

- أن النحاة أولوا اللفظ على المعنى.

- قضية الصوت لم يكن فيها اختلاف بين الباحثين، واتفق الكل على أنه الآلة الحاملة للفظ والمعنى.

- كل من الخليل وسيبويه لم يهتما بالكلام البليغ بل تفطنا لوحدة اللفظ والمعنى.

-كل من الخليل وسيبويه انطلقا في دراستهم من اللفظ، ولم يهملا المعنى فجمعا بينهما.